

كلام حق يراد به باطل

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

ما زالت عمليات الإلهاء المسرحية مستمرة في وطن الأرز وسيناريوهاتنا هذه المرة اقتصادية، تصادمية، وفضائية الهدف منها زرع روح الشقاق بين الشرائح اللبنانية وتقليبهم بعضهم على بعض، وتخويفهم من بعضهم البعض، وتخويف الجميع من حزب الله ومن سلاحه الذي مُنِع عليه سورياً استعماله ضد إسرائيل انطلاقاً من مزارع شبعا بعد تعديل اريال شارون لبنود لعبة الحرب الوهمية القائمة منذ ٢٥ سنة بين دمشق وتل أبيب. أما مسرح هذه العراضات الإلهائية المعدة في مقر الوالي العنجري فهي وحتى إشعار آخر مطار بيروت وشركة طيران الشرق الأوسط. هذه الشركة التي تحولت بظل الاحتلال السوري وحكم الطائف إلى مزرعة للمحاسبين والأزلام وباتت ومنذ سنة ١٩٩٠ تخسر ما يزيد عن ٦٠ مليون دولاراً سنوياً بعد أن كانت في السابق تملك أسطولاً جويّاً مكوناً من ٢٥ طائرة ومن أنجح شركات الطيران في العالم. أما اليوم فالشركة لا تملك أي طائرة وإنما تستأجر تسع طائرات فقط. لتشغيل الطائرات التسع هذه زرعوها ٤٥٠٠ موظفاً فيما المطلوب أقل من ألف.

إن ما يجري اليوم في شركة طيران الشرق الأوسط هو نموذج لحال كافة المؤسسات الحكومية التي تحولت ومنذ سنة ١٩٩٠ إلى مزارع لإرضاء محاسبين وأزلام المحتل واتباعه من شركة تلفزيون لبنان، إلى وزارة الإعلام، وزارة المغتربين، مجلس النواب، شركة الكهرباء، شركات التلفون النقال وغيرها الكثير، وتطول القائمة وتطول. والهدف واحد هو تدمير مؤسسات الدولة اللبنانية وإعلان إفلاسها ليسهل بعد ذلك بيعها بأبخس الأثمان لتجار السياسة ومصاصي دم الشعب والمافيات، وكل هذا يُسهل للحكم السوري قضم لبنان الكيان وجعله محافظة سورية عندما تسنح الظروف الدولية والإقليمية بتنفيذ هذا المخطط الجهنمي المتفق عليه منذ ٣٠ سنة بين دمشق وتل أبيب.

إن إثارة الملفات الفضائية من تنصت وتخابر خارجي وغيرها كلام حق يراد به باطل، فهي أولاً وأخيراً تهدف إلى إلهاء اللبنانيين وإبعاد اهتماماتهم وأنظارهم عن سبب كل المشاكل ألا وهو الاحتلال السوري والممارسات السورية البغيضة في كافة المناطق اللبنانية التي تستهدف كل الشرائح دون استثناء.

إن تدمير شركة الميدل ايست نذير شؤم وهو بداية النهاية لتصفية مؤسسات الدولة وتفكيك مقوماتها وضرب هيكلية النظام الديمقراطي الحر مما سيليه تلقائياً ازدياداً مضطرباً لهجرة اللبنانيين. علماً أنه وطبقاً لإحصائيات وتقارير الدولة اللبنانية نفسها فقد هاجر من لبنان منذ سنة ١٩٩٠ ما يزيد عن مليون و ٣٥٠ ألفاً معظمهم من الشباب المثقف. إن معدل الهجرة الشهري رغم كل الصعوبات يزيد عن ١٦ ألف

لبناني. لقد أوصل النظام السوري وواجهاته لبنان وأهله إلى قعر الهاوية بل إلى أدنى من ذلك بدركات، والخطر كل الخطر أن يأتي الإنقاذ، إن أتى متأخراً ويوم لا يفيد ولا يجدي نفعاً.

إن الهجمة الاحتلالية الضاغطة لا تقتصر حالياً على لقمة العيش والمؤسسات وضرب الأمن والتعايش، بل تتخطاها لتطاول الهوية اللبنانية المميزة التي أن تخلينا عنها نكون قد خسرنا المواجهة إلى الأبد وفقدنا أنفسنا، وساهمنا في اقتلاع جذورنا، وسهلنا المؤامرات الهادفة لتهميشنا وتهجيرنا. إن مخططات المحتل السوري ستفشل إن تمسكنا بهويتنا، وستتجح لو خرج من أرضنا ونحن تخلينا عن هويتنا. إن الحرب بأساسها كانت وما زالت على هويتنا، والمقاومة بالتالي لن تكون فاعلة إن لم نع هذه الحقيقة ونتعامل معها على هذا الأساس.

لقد أعطانا الله هدية ثمينة، ألا وهي الهوية اللبنانية المميزة لنكون مثالا للعالم ولكل شعوب الأرض. لهذا لن نستسلم للبطش والاضطهاد. إننا شعب متجذر في أرضه، سلاحنا الإيمان بهويتنا وقداسة هذه الأرض. وطالما دامت أرضنا تنبت قديسين كشربل والحرديني، وقديسات كرفقا لن تهزمننا شدة ولن تخور عزائمننا. اليوم أكثر من أي يوم مضى، هذه القوة الإيمانية ضرورية لنا لنتحصن بالرجاء الذي يأتي بفرح الحياة الكامل. إن محبتنا لوطننا وبعضنا البعض سلاح لا يقهر، فالمحبة التي هي "أقوى من الموت سوف تساعدنا على إرساء الحوار مع الإنسان والعالم المتأصل في الحوار ومع الله ذاته.

لن نفقد الثقة بأنفسنا وبقدراتنا الإبداعية، ولن نياس أو نتخاذل. إن إيماننا لا يقهر، حينا للبنان ولهويتنا أقوى من بطش الطغاة، وكفر المارقين، وهرطقة متولي الحكم، ويوضاسية بعض رجال الدين الأقربين الذين باعوا ضمائرهم بثلاثين من الفضة.

لقد حمل اللبناني في قلبه وعقله ووجدانه طوال ٦٠٠٠ سنة حب لبنان وميراثه وتقاليده وهويته. صحيح انه عذب، اضطهد، هجر، سجن وقتل، وصحيح أيضاً أنه أفقر، إلا أنه غني بإيمانه ورجائه وبتعلقه بالحرية والديموقراطية. ومن كان الله نصيره فلا غالب له.